الفصل الثاني

التجديد في عروض الشعر

الفنون الجديدة

أبرز مظاهر التجديد في العروض الشعري

" الفنون الشعرية الجديدة "

استطاع الخليل بن أحمد – كما سبق – أن يضبط ما ورد عن العرب من الشعر فأرجع أوزانه إلي خمسة عشر بحرا عروضيا ، وزاد الاخفش بحرا سماه " المتدارك "

وعد المؤرخون أن كل ما خرج عن هذه الأوزان فليس بشعر عربي ، وإنما هو من عمل المولدين " المحدثين " الذين رأوا أن حصر الأوزان في هذا العدد من الأبحر يضيق عليهم مجال القول ، وهم يريدون أن يجري كلامهم عن الأنغام الموسيقية التي تقلتها إليهم الحضارة خاصة في الدولة العباسية ، لذا نراهم وقد مالوا إلي الجمال والتفنن حتي في أوزان الشعر وطرقه ، ومزجوا بين الأوزان المختلفة ، وربما ألفوا بين وزن مخترع ووزن معروف بل يكاد يجمع أهل العروض علي أن لهؤلاء المولدين أوزانا مخترعة لم يسبقهم إليها أحد ، وقد سميت بالبحور المهملة، وقد استنبطوها من البحور القديمة .

وبهذا كانت بدايات الخروج علي الهيئة التقليدية للقصيدة العربية من مواريث المشرق علي يد العباسيين ، إذ جد علي المجتمع العربي ظواهر وافدة كانت لها آثار كبيرة في السلوكيات والأخلاق وتناول كل أسباب الحياة .

وقد انعطفت الفطرة العربية في شيء من شئونها إلي اللهو والطرب والغناء ، وقد حدا بها ذلك إلي البحث عما يناسبه من أوزان الشعر

الخفيفة ومجزوءات البحور ، وبقيت مع ذلك محافظة علي عمل الصورة التقليدية وزنا .

والذي يذكر للعباسيين في الخروج علي الأوزان والقوافي ، هذه الصياغات الشعبية التي ظهرت بينهم وعرفت بـ " المواليا " والكان وكان ، والقوما ، والدوبيت ، والسلسلة ، ولغتها أقرب إلي العامية .

وهي فنون ذكرها الإبشيهي في " المستطرف " وعدها مؤرخو الأدب وأهل العروض من الفنون الجديدة التي استحدثت علي مر التاريخ الأدبي وأحصوها في سبعة فنون ، الخمسة السابقة وزيد عليها الموشحات والأزجال .

١- المواليا

ذكر المؤرخون في سبب نشأة هذا الفن إن هارون الرشيد حينما نكب البرامكة ، أمر إلا يذكرهم شاعر في شعره ، فرثتهم جارية لهم بهذا الوزن ، وجعلت تنشد وتقول (يا مواليا) ولا تصرح باسمهم ليكون في ذلك منجاة لها من الرشيد ، لأنها حينئذ لا ترثيهم بالشعر المنهي عنه .

ويبدو أن ما سموه بالمواليا هو نفس النوع المعروف في الشعر العامي بـ" الموال " لأن أمثلته قد جاءت مزيجا بين ألفاظ معربة وأخري غير معربة ، مما يبعث الشك في رواية أصل نشأته كما رواها بعض القدماء وأنه ينسب إلي عصور متأخرة عن عهد الرشيد ، وأغلب الظن أن يكون هذا في حدود القرن السادس أو السابع الهجري .

وذلك لأن هذه الفترة قد تحلل فيها بعض الناظمين من بعض حركات الإعراب وقد أشار إلي ذلك ابن خلدون ت (٨٠٨ هـ) فقد أورد شعرا في مقدمته يكاد يكون خاليا من إعراب الكلمات ينسب إلي عصره أو ما قبل عصره بقليل .

وعلي ذلك يحسن أن يعد فن " المواليا " أصلا لما يسمي بالموال " وأنه قد تطور حتي صار علي الصورة التي نعرفها الآن .

لا سيما وأن من مؤرخي الأدب من أكدوا أن وزن " المواليا " – غالبا – كان من بحر " البسيط ، ومعروف أن الموال في غالب الأحيان كان يأتي علي هذا الوزن .

° والصفة التي تميز فن " المواليا " عن غيره ترجع إلي التحلل من إعراب بعض الألفاظ وذلك بإسكان أواخرها ، كما هو الحال في اللغة العامية ، ثم التنويع في القافية ورويها .

°والراجح عند مؤرخي الأدب أن المواليا نشأت أولا عند أهل بلدة " واسط " بالعراق وقد نظموا من هذا الفن الغزل والمديح ، وكان سهل التناول ، تعلمه عبيدهم والغلمان وصاروا يغنون به في رؤوس النخل ، وعلي سقي الماء ، ويقولون في آخر كل صوت " يا مواليا ، إشارة إلي سادتهم ، ثم استعمله البغداديون ، وأجادا فيه حتي عرف بهم دون مخترعيه .

والمشهور أن له ثلاثة أنواع :

(أ) الرباعي : وهو ما كان شطرا بيته مصرعه وسمي رباعيا ، لأنه ينظم منه في العادة بيتان فقط ، وكل بيت شطران فيكون رباعيا ، ومثاله قول جارية البرامكة :

يا دار أين الملوك أين الكُرَس

أين الذين رعوها بالقنا والتُرُس

قالت تراهم تحت الأراضي الدُرَس

سكون بعد الفصاحة ألسنتهم خُرْس

(ب) الأعرج : وهو مثل الرباعي إلا أن مصراع منه يختلف عن الثلاثة الباقية وذلك مثل قول بعضهم :

يا عبد ابكي علي فعل المعاصي ونوح

هم فين جدودك أبوك آدم وبعده نوح

دنيا غرورة تجي لك في صفة مركب

ترمي حمولها علي شط البحور وتروح

(ج) النعماني : نسبة إلي شخص يقال له نعمان ، ويختلف عن الربـــاعي والأعرج ومنه قول بعضهم :

الأهيف اللي بسيف اللحظ جارحنا

بيده سقانا الطـــلا ليلا وجا رحنا

هجره كواني وحيرني علي وعدي

يا خل واصل ووافي بالمني وعدي

من حر هجرك ومن نار الجوي رحنا

وهذه النماذج لا تعد تطورا في وزن الشعر وبحوره ، وإنما هي تطـــور في القافية وتنوعها من ناحية ، وقواعد الأعراب من ناحية أخري .

٢- كان وكان

هو وزن – كما يذكر المؤرخون – قد شاع بين أهل بغداد في عصور متأخرة ، كان قد بدأ بعض الناظمين فيها يتحللون من بعض قواعد الأدب وقد ارتقي هذا الوزن قليلا حين جاء الإمام ابن الجوزي وغيره ، فنظم منه للحكم والمواعظ في القرن السادس والسابع الهجريين .

ولو قدر لهذا النظم أن يرقي إلي مستوي الأوزان القديمة لصح أن يسمي تطورا في الأوزان الشعرية ولكنه كما يقول مؤرخوا الأدب قد اتخذ قالبا لنظم الحكايات والخرافات ، ولم يطرقه من الشعراء المشهورين أحد ، وإنما كان ميزان الأدب الشعبي ، يتناوله الناس في المقطوعات الصغيرة التي تعرض للأمور التافهة ، والتي لم تستحق أن يرويها الرواة أو يعنوا بدراستها .

° وهذا الوزن كما يصفونه ، وكما تدل عليه أمثلته المشهورة مما لا يراعي فيه روي خاص بل لكل شطر روي بعينه ، وقد كثر فيه ذكر عبارة (كان وكان) .

ويبدوا أنهم كانوا ينطقون بها " كن وكان " ، لينسجم هذا مع ما قالوه عن ذلك الوزن ، فهو وزن لم يتحلل فيه ناظمه من بعض قواعد الإعراب فحسب ، بل من قيود القافية أيضا ، وإذا صح ما روي عن هذا الوزن من أن شطره الأول يخالف الشطر الثاني في الميزان نستطيع أن نعده تطورا في الأوزان العربية .

ومن أشهر أمثلته قول القائل :

قم يا مقصر تضرع　　قبل إن يقولوا كان وكان

للبر تجري الجواري　　فـــي البحـــر كالأعـــلام

فالناظم هنا قد جعل همزة (أن) في الشطر الثاني همـــزة وصـــل مـــع تقصير النطق بكلمة كان الأولي إلي " كن "

ومن أمثلته – أيضا – قول بعضهم :

يا قاس القلب مالك　　تسمع وما عندك خبر

ومن حرارة وعظي　　قـــد لانت الأحجـــــار

أفنيت مالك وحالك　　فـــي كـــل مالا ينفعك

ليتك علي ذي الحال　　تقلـــع عـــن الإصرار

٣- القوما

يذكر الرواة أن هذا اللون قد اخترعه البغداديون ، وشاع بينهم في الدولة العباسية ، وهو نظم غير معرب ، ولا تراعي فيه قواعد اللغة كما وصفها النحاة .

سبب تسميتها بذلك :

يحدثنا الرواة أن القوما نُظِم ليستخدمه القائمون بالسحور في رمضان واسمه مأخوذ من قول المسحر " قوما تسحر قوما "

ويكاد يجمع مؤرخو الأدب علي أن هذا اللون وجد في أواخر القرن السادس الهجري فيحكي أن رجلا يدعي " أبا نقطة " كان يجيد هذا النظم في سحور رمضان وكان الخليفة " الناصر " – في أواخر القرن السادس الهجري – يطرب له ، ويعجب بنظمه ، فجعل للرجل راتبا سنويا ، فلما مات أبو نقطة ، وكان له غلام يجيد – أيضا – نظم القوما ، فأراد أن يعلم الخليفة ويعرفه بموت أبيه ، فجمع بعض الغلمان ووقف معهم خارج قصر الخلافة في الليلة الأولي من رمضان ، وأخذ يغني بصوت رخيم طرب له الخليفة ، ثم كان أن اختتم الغناء بقوله :

يا سيد السادات لك بالكرم عادات

أنا ابن أبو نقطة تحسن أبويامات

ويقال إن الخليفة أعجب به ، فأرسل من أحضره فخلع عليه ، وجعل له ضعف ما كان لأبيه من راتب .

ويبدو أن الناظم كان ينطق بكلمة نقطة " نقطاه لينسجم" هذا مع باقي الأشطر في الوزن .

ومما يروي للقوما أيضا قول بعضهم :

يا من جنابه شديد	ولطف رأيه سديد
ومن يلاقي الشدايد	بقلب مثل الحديد
لا زلت في التأييد	في الصوم وفي التعييد
ولا برحت مُهنا	بكل عام جديد
ما زال برك يزيد	على أقل العبيد
ولا عدمنا نوالك	في صوم وفطر وعيد

وذكر بعض المؤرخين نوعين لنظم القوما غير السابقة ، أولهما مركب من أربعة أشطر ، ثلاثة منها قد اتفقت وزنا وقافية ، والرابع يجيء أطول وزنا ، وهو مهمل بغير قافية ، أما الثاني من نوعي القوما ، فيتكون من ثلاثة أشطر مختلفة الوزن متفقة القافية أولهما أقصر من الثاني ، والثاني أقصر من الثالث إلا أنهم لم يوردوا أمثلة لهذين النوعين.

٤- الدوبيت

وهو وزن يكاد الرواة يجمعون علي أنه فارسي ، صالح لنظم اللغة الفارسية ، إلا أن بعض الناظمين باللغة العربية الفصيحة قد استعاره في النادر من الأحيان .

ولفظة الدوبيت " مكونة من " دو " وهي كلمة فارسية معناها " اثنان " و"بيت " وهي كلمة عربية معناها كما هو في اللغة العربية " بيت من الشعر " والمراد بالدوبيت إذن الشعر المركب من بيتين ، إذ غاية ما ينظم فيه بيتان ، فكل بيتين يعتبران وحدة مستقلة .

والحق أن هذا الوزن لم يشع شيوعا كافيا في اللغة العربية حتي يصبح مألوفا بين الناس ، بل لم يرو المؤرخون أن شاعراً مشهوراً مثلا قد خصه بنصيب وافر من شعره ، وأغلب الظن أن النظامين قد صنعوا هذه المقطوعات للتفكه ، وإظهار البراعة والمهارة والمقدرة اللغوية في النظم من أي وزن حتي ولو كان أجنبيا " فارسيا " عن أوزان الشعر العربي .

* ولهذا النظم خصائص ، بعضها يتعلق بالوزن ، والبعض الآخر بالقافية ، أما ما يتعلق بالوزن فهو ليس وزنا مخترعا ولكنه مستعار من اللغة الفارسية ولا يصح أن يعد هذا الفن تطورا في أوزان الشعر العربي:

وأما من ناحية القافية وتنويعها ، فقد استخدمه المتأخرون من الشعراء لكن في وزن عربي معروف ، فالشعراء العرب قد ألفوا نظام القافية في

" الدوبيت " ولم يألفوا وزنه فاستعارتهم مقصورة علي نظم القافيـــة دون الوزن .

ومن أمثلة الدوبيت قول القائل :

لو صادف نوح دمع عيني غرقا

أو صادف لوعتي الخليل احترقا[١]

أو حملـــت الجبال مـــا أحملـــه

صار دكـــا وخـــر موسي صعقـــا

ومنه أيضا قول الآخر :

يا من بسنان رمحه قد طعنّا

والصارم من لحاظه قطعنا [٢]

ارحـــم دنفاً سنه قـــد طعنا

من حبك لا يصيبه قط عنا[٣]

ومن أمثلته أيضا قولهم :

روحي لك يا زائر الليل فدا

يا مؤنس وحدتي إذا الليل هدا

إن كان فراقنا مع الصبح بدا

لا أسفر بعـــد ذاك صبح أبـــدا

---

[١]) الخليل : سيدنا إبراهيم

٢) طعنا : الطعن الضرب بالرمح والسيف .

٣) سنه طعن : كبرت سنه وطال عمره لا يصيبه قط عنا :لا يصيبه عناء قط أو مطلقا .

٥- السلسلة

وهو وزن لم يقدر له الشيوع والذيوع ، ولا ندري أحدا من الشعراء قد استساغه ونظم منه ، بل ليس معلوم لم سمي هذا النظم بهذا الاسم ، ولا كيف نشأ هذا النظم ، ولا متي بدأ الناس ينظمون منه ، فلا يحدثنا الرواة عنه حديثا طويلا وإنما يمرون به مسرعين، مكتفين بذكر اسمه ووزنه .

وما جاء له من أمثلة فهي قليلة جدا .

ومن أمثلته قول القائل :

السحر بعينيك ما تحـــرك أو جال

إلا ورماني من الغرام بأوجال

يا قامة غصن نشأ بروضة إحسان

إبان هفت نسمة الدلال به مال

وكذلك منه قول بعضهم :

يا سعد لك السعد إن مررت علي البان

ووزن هذا النظم غريب ، وأغرب ما فيه أن أهل العروض قد زعموا لنا أن ألفاظه جاءت معربة مع أن قافيته المردوفة " فعلاتان " تـوحي بأنـه ربما كان من أوزان الشعر العامي ، وأن الأمثلة المروية لهذا النظم كان ينطق بها نطقا عاميا ، يطيل بعض الحركات ويقصر البعض الآخر .

وربما نظمت هذه الأمثلة علي بحر من بحور الشعر المعروفة مع النطق بها عاميا ، وهو ما جهله من رووه من أهل العروض .

مهما يكن من أمر ، فهو وزن ولد ميتا ، أو احتضر وهو وليد ولا تضح جوانبه بالبحث والتحليل الاحين ينتشر ويشيع شيوعا كافيا لتستريح إليـــه الآذان وذلك حين يطرقه كثير من الشعراء ويطمئنون إليه .[1]

[1]) موسيقي الشعر / إبراهيم أنيس صـــ ٢١٩

٦- الموشح

تعريفه :

عرفه القاضي هبة الله بن سناء الملك بأنه " كلام منظوم على وزن مخصوص بقوافٍ مختلفة " والثابت أن ظهور فن الموشح في الأندلس كان من أكبر حركات التجديد التي عرفتها الأندلس في تاريخها الأدبي عامة ، وفي ميدان الشعر خاصة ، ويكاد يجمع المؤرخون على أن الموشحات فن أندلسي خالص ، استحدثه الشعراء الأندلسيون ثم قلدهم فيه المشارقة والمغاربة علي السواء .

والتوشيح لون من ألوان النظم ، إلا أنه يختلف عن غيره من ألوان النظم بالتزامه قواعد معينة من حيث القفية ، وبخروجه أحيانا علي الأعاريض الخليلية ، وبخلوه أحيانا من الوزن الشعري ، وباستعماله اللغة الدراجة والأعجمية في بعض أجزائه ، وباتصاله الوثيق بالغناء .

وقد مر علي شعراء الأندلس ستة قرون يرعون هذا الفن ، وينظرون في تهذيبه حتي استوي في ألوانه المبتكرة التي نصبت منه فناً مستقلا له سماته وأصوله الخاصة .

- سر تسميته

اشتقت كلمة الموشح علي أرجح الظن من المعني العام للتزيين سواء كان ذلك وشاحا أم قلادة لأن الوشاح في الأصل هو حلي النساء ، واستعملت الكلمة في أحايين كثيرة للتعبير عن بعض المعاني البلاغية ، لكن الذي يعنينا هنا هو دلالة الكلمة علي قالب من قوالب الشعر العربي عرف علي

مدي الأيام باسم الموشحات أو التوشيح أو الموشح ، ويسمي الناظم فيه " الوشاح "

- والآراء حول النشأة الأندلسية للموشحات أكثر من أن تحصي ففي كتاب الذخيرة أن (أول من صنع أوزان الموشحات بأتقنا واخترع طريقها - فيما بلغني - محمد بن محمود القبري الضرير ، وكان يصنعها علي أشطار الأشعار غير أن أكثرها علي الأعاريض المهملة غير المستعملة ، بأخذ اللفظ العامي أو العجمي - ويسميه المركز - ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان)[1]

وفي مقدمة ابن خلدون : (وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذيب مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ... وكان المخترع له مقدم بن معافي الفريري) [2]

تركيب الموشح

ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات ، ومن الأفضل أن نتبين معالم هذه المصطلحات من خلال التطبيق علي واحد من هذه الموشحات ، وهو موشح محي الدين بن عربي ، ويتكون هذا الموشح من خمسة أدوار اخترنا منها الدورين التاليين .

---

[1]) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ابن بسام ج١ صـ٣٠١ .

٢) المقدمة ط. كاترمير ج٣ صـ ٣٩١ .

أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك وإن لم تسمع

.....

.....

.....

عنـــدما لاح لعيني المتكا ذبت شوقا للذي كان معي

أيهـــا البيت العتيـــق المشرف

جاءك العبد الضعيف المسرف

عينـــه بالدمـــع دومـــا تزرف

قرية منـــه ومكـــر فالبكا ليس محمود إذا لم ينفع

أيهـــا الساقي اسقني لا تأتل

فلقـــد أتعب فكـــري عذلـــي

ولقـــد أنشده ما قيـــل لـــي

أيها الساقي إليك المشتكي ضاعت الشكوى إذا لم تنفع

بذكر الموشحة نذكر ما اتفق عليه الوشاحون من تسمية أجزاء الموشـــح المختلفة بأسماء اصطلاحية وذلك للإلمام بطريقة نظمه وهـــذه الأجـــزاء هي:

١- المطلع

ويسمي أيضا " المذهب " وهو القفل الأول من إقفال الموشحة، ويتكـــون عادة من شطرين أو أربعة أشطر ، كل شطر من هذه الاشطر " يـــسمي غصنا ، وقد تتفق قافية الشطرين " الغصنين " أو تختلف كما هو الـــشأن

في المثال السابق ومما تتفق فيه قافية الغصنين موشحة ابن نيابة التي مطلعها :

سامروا من أرقا وارحموا من عشقا

ومن الموشحات التي تكونت إقفالها من أربعة أشطر " أغصان " موشحة الأعمي التطيلي ، التي مطلعها :

ضاحك عن جمان ساثر عن بدر

ضاق عنه الزمان وحواه صدري

وكل موشح يبتدئ بالمطلع " القفل الأول " يسمي " الموشح التام " فإذا خلا الموشح من المطلع سمي بالموشح الأقرع .

٢- القفل :

ويسمي أيضا " المركز " وهو الجزء المتكرر في الموشحة ، والمتفق مع المطلع في وزنه وقافيته وعدد أغصانه وعلي ذلك فالقفل الثاني في موشحه ابن عربي :

عندما لاح لعيني المتكا ذبت شوقا للذي كان معي

ويذكر القفل في الموشح التام ست مرات أما في الأقرع فيذكر خمس مرات .

٣- الخرجة

وهي عبارة عن القفل الأخير من الموشحة ، والفارق بين المطلع والأقفال والخرجة أن الموشح قد يأتي بدون مطلع فيسمي " أقرعا " أما الأقفال والخرجة فيشكلان جزئين أساسين في بناء الموشح لابد أن يذكرا فيه وبدونهما لا يسمي الموشح موشحا .

٤- الغصن

وهل كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجة ولابد من تساوي المطلع مع الأقفال مع الخرجة في عدد الأغصان سواء لثنين أو أربعة .

٥- الدور

وهو ما يقع بعد المطلع في الموشح التام ، وما يبدأ به في الموشح الأقرع ونستطيع أن نسميه أيضا بأنه هو ما يقع بين الأقفال .

٦- السمط

وهو كل شطر من أشطر الدور وجمعه أسماط ولا يقل عدد الأسماط في الدور الواحد عن ثلاثة وقد تزيد عن ذلك حسبما يريد الوشاح ، وقد يكون السمط مفردا أي مكونا من فقرة واحدة كما هو الحال في موشحة ابن عربي السابقة ، وقد يكون السمط مركبا من فقرتين كما في موشحة الاعمي التطيلي في الدور الأول منها :

آه مما أجد شفني ما أجدْ

قام بي وقعد ياطش متئدْ

كلما قلت قد قال لي أين قدْ

فهذا الدور مكون من ثلاثة أسماط وكل سمط منها يتألف من فقرتين " شطرين "

٧- البيت

ومفهومه في الموشحة غير مفهومه في القصيدة الشعرية التقليدية لأن البيت في الموشحة يتكون من (الدور مع القفل الذي يليه) وعلي ذلك يكون البيت في موشح ابن عربي مثلا : هو

أيهـا البيت العتيق المشرف
جاءك العبد الضعيف المسرف
عينـه بالدمـع دومـا تذرف
ذرية منه ومكر غالبكا ليس محمودا إذا لم ينفع

وبعد هذا العرض التفصيلي لأجزاء الموشح نأخذ مثالاً آخر نبين عليـه هذه الأجزاء مباشرة دون تعريفات ، وليكن المثال هو موشحة ابن زهـر الإشبيلي التي يقول فيها :

سلم الأمر للقضا فهو للنفس أنفـع ← مطلع (مذهب)

واغتنم حين اقبلا
وجـه بدر تهللا ← دور
لا تقل بالهموم لا

كل ما فات وانقضي ليس بالحزن يرجع ← قفل

واصطبح بابنه الكروم ← سمط
من يدي شادن رخيم ← دور
حين يفتـر عن نظيم

فيه برق قد أومضا ورحيق مشعشع ← قفل

أنا الذيـه من رشـا
أهيف القـد والحشا
سقني الحسن فانتشا ← بيت
مذ تولي وأعرضا فؤادي يتقطـع

من الصب غدا مشوق
ظل في دمعه غريـــق } دور
حين أموا حمي العقيق

واستقلوا بذي الغضا أسفي يوم ودعوا ← قفل

ما تري حيـــن أظعنا
وسري الركـــب موهنا } دور
واكتسي الليـــل بالسنا

نورهم ذا الذي أضا أم مع الركب يوشع ← خرجة

وهكذا تتكون الموشحات بأنواعها .

أوزان الموشحات

قسم ابن سناء الملك في كتابه " دار الطراز " الموشحات إلي قسمين :

الأول : ما بني علي أشعار العرب .

الثاني : مالا علاقة له بهذه الأوزان .

وأوضح أن (ما بني علي أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلي قسمين

الأول : وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي ، وقد هاجم ابن سناء الملك هذا النوع من الموشحات هجوما شديدا ، وقال إنه " بالمخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء " ولكنه استثني من الذم ما كانت قوافي القفل فيه مختلفة مثل موشحة :

ياشقيق الروح من جسدي أهويّ بي منك أم لمم

فالغصن الأول من هذا القفل علي قافية الدال ، أما الثاني فعلي قافية الميم والجزءآن معا من بحر المديد بدون أي تغيير .

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع فمن ذلك موشحة :

أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك وإن لم تسمع

وقد جاءت علي بحر الرمل .

أما القسم الثاني من هذا النوع فهو " ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أم ضمة أم فتحة ، تخرجه عن أن يكون شعرا صرفا ، وضرب ابن سناء الملك مثلا لذلك قول ابن بقي :

صبرت والصبر شيمة العاني ولم أقل للمطيل هجراني معذبي كفاني

فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي " معذبي كفاني " لكنا أمام نص من بحر المنسرح وقد يحدث التغيير عن طريق إدخال قافية أخري مثل :

يا ويح صب إلي البرق له نظر
وفي البكاء مع الورق له وطر [1]

وننتقل الآن إلي الموشحات التي لم تجيء علي أوزان لأشعار العرب ، وابن سناء الملك يذكر أن هذا النوع يمثل الكثرة الغالبة ، ويحدثنا أنه حاول أن يستخلص عروضا لهذا النمط من الموشحات ، ولكن محاولته لم يقدر لها النجاح ، لأنه وجد أنها كثيرة العدد من ناحية ، وأنها لا يمكن ضبطها إلا بالتلحين .. ويورد مثالا لذلك :

أنت اثتراحي لا قرب الله اللواحي
من شاء أن يقول فإني لست أسمع
خضعت في هواك وما كنت لا أخضع
حي علي رضاك شفيع لي مشفع
نشوان صاحي بين ارتياع وارتياح

وعلق علي هذا النص قائلا :

(فها أنت تري نبو الذوق عن وزن هذا الكلام وماله عند الطبع الضعيف نظام ، ولا يعقله إلا العالمون من أهل هذا الفن .... وما كان من هذا النمط فيما يعلم صالحه من فاسده وسالمه من مكسوره إلا بميزان التلحين) [2]

---

[1]) الورق : الحمام
[2]) الموشحات الأندلسية / محمد زكريا عناني

٧- الزجل

وهو فن استحدثه الأندلسيون ، ثم خرج من الأندلس إلي البيئات الأخري وانتشر فيها ، يقول ابن خلدون في مقدمته : (ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور لسلاسته ، وتنسيق كلامه ، وتصريح أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار علي منواله ونظموا علي طريقته بلغتهم الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا ، واستحدثوا فنا سموه بالزجل)

وعن مخترع هذا الفن يقول ابن خلدون أن (أول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان ، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس ، ولكن لم تظهر حلاها ، ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه .... وهو أمام الزجالين علي الإطلاق) .

ويعتبر القرن السادس الهجري هو العصر الذهبي للزجل في الأندلس ، وهو العصر الذي شهد نهاية عصر ملوك الطوائف وبداية عصر المرابطين الذين كانوا لا يتقنون اللغة العربية ، فازدهر الزجل عندهم ولقي منهم تشجيعا كبيرا ، وكثر عدد الزجالين في هذا القرن ونبغ منهم كثيرون أمثال عيسي البليدي ، وأبو عمرو بن زهر الإشبيلي وأبو الحسن المقري الداني .... الخ

وبوفاة ابن قزمان ظل هذا الفن محروما من فارس يجول في حلبته وينهض به ويشغل الفراغ الذي خلفه موته عدة سنوات ، إلي أن جاءت أواخر القرن السادس الهجري وفيه تغيرت الأحوال وانتهت دولة

المرابطين وجاءت دولة الموحدين وفيها ظهر الزجال الكبير أحمد بن الحجاج المعروف باسم (مدغليس) ، وهو من زجالي الأندلس العظام حيث حظي بشهرة كبيرة في عصره ، وقال عنه " المقري " صاحب " نفح الطيب " أنه كان (مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال ، خليفة ابن قزمان في زمانه ، وكان أهل الأندلس يقولون : ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ، ومدغليس بمنزلة أبي تمام ، وبالنظر إلي الانطباع والصناعة ، فابن قزمان ملتفت إلي المعني ومدغليس ملتفت إلي اللفظ ، وكان أديبا معربا لكلامه مثل ابن قزمان ، ولكنه لما رأي نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه) .

- وفي القرن السابع ظهر زجالون كثيرون منهم : ابن الزيات ، وابن جحدر الإشبيلي وأبو عبد الله بن خاطب ، وأبو بكر بن صارم ، وأبو الحسن علي بن محمد الشاطبي وأبو عبد الله بن حسون ، وأبو بكر بن عمير المغربي .... وغيرهم .

وظهر في القرن الثامن الهجري عدد من الزجالين منهم الوزير أبو عبد الله بن الخطيب وأبو عبد الله اللوشي ، وهو من الزجالين المجيدين .

ومع كثرة الزجالين خلال هذه الفترة فإنه لم يكن هناك زجال كبير كابن قزمان أو مدغليس وربما كان السبب في ذلك هو الخطر الداهم المتمثل في سقوط المدن الأندلسية في يد الأسبان وانشغال الناس بذلك عن الزجل .

موضوعات الزجل

موضوعات الزجل هي تقريبا نفس موضوعات الموشحات وموضوعات الشعر التقليدية كالغزل والمدح والوصف والخمر والتصوف ... الخ

فمن الغزل قول ابن قزمان :

هجرن حبيبي هجر وأنا لس لي بد صبر

لس حبيبي إلا ودود قطع لي قميص من صدود

وخاط بنقض العهود وحبب إليّ السهر

ومن التصوف قول الششتري :

لله لله هاموا الرجال في حب الحبيب

الله الله معي حاضر في قلبي قريب

ادلل يا قلبي واقرح حبيبك حضر

واتنعم بذكر مولاك وقص الأثر

واتهني وعش مدلل بين البشر

دعوني نذكر حبيبي بذكرو نطيب

الله الله معي حاضر في قلبي قريب

° ومن الأمثلة السابقة ويتضح أن الزجل شعر نظم بلغة عامية ولهجة لا يراعي فيها قواعد الإعراب ولا الصيغ الصحيحة للكلمات بل ينظم من الكلام الدارج والألفاظ العادية التي تدور بين الناس في الأحاديث اليومية العادية ، ولذلك فإن دراسة الزجل شاقة وعسيرة لأنها رويت مكتوبة لا منطوقة والكتابة وسيلة ناقصة لتصوير لهجات الكلام في البيئات المختلفة، ولا بد كذلك من دراسة لهجات الكلام في بيئات الزجل التي

قيل فيها ، ومعرفة خصائصها الصوتية وكيفية النطق بصيغ المفـــردات وما أصابها من انحراف .

° ويعد فن الزجل من الفنون الرائجة إلي وقتنا الحاضر وخاصـــة فـــي بيئتنا المصرية وكان من المشهورين به في عصرنا الحـــديث : صـــلاح جاهين ، وبيرم التونسي وغيرهما ، وصاروا ينظمون علي أوزان هـــي قريبة من أوزان الأبحر العروضية وذلك مثل قول القائل :

آه يا خينة يا للي وقتيني فيكـــي

يوم عرفتك قلت ما حدش شريكي

جيتي قلتي لي الحراف قلت يعافيكي

وأما زادت للأسف معرفتي بيكـــي

قمتي جيتي جـــوه نايبة وزقتينـــي

وقول القائل :

مرمر زماتي يا زماتي مرمر

العطفة من قبل النظام مفتوحة والوزة من قبل الفرح مدبوحة

ولما جات تتجوز المفضوحة قلنا اسكتو خلي البنات تتستـــر

مرمر زماتي يا زماتي مرمر

وقول القائل :

عمري ما شفتش حد خاب زينا الجهل شاع فينا وزاد الفســاد

قربنا ننسي من الضلال ربنــا خايف ليغضب ربنا علي العباد

وهناك الكثير غير هذه الأمثلة جاءت علي أوزان مختلفة [1]

---

[1]) يراجع في ذلك كتاب / الأدب العربي في الأندلس / عبد العزيز عتيق ، وموسيقي الشعر إبراهيم أنيس ، وكتب الأزجال لصلاح جاهين وبيرم التونسي .